

الفتاة القروية

للقصصى الروسى بوشكين
بقلم السيد عبد الله عزوزي

من العقار ؛ وكان في أخلاقه شذوذ غريب ، فهو ينفق كثيراً من دخله على حديقة يزرعها على « الطريقة الانكليزية » ولا يرضى بأن تكون صربية ابنته إلا آنسة انكليزية المحدث ، ولا يزرع حقوله الشاسعة إلا على

الطريقة الانكليزية ، « ولكن الفمح الروسى لا يؤتى أكله إذا زرع على الطريقة الانكليزية »^(١) ومقابل هذا النقص المتواصل في أحواله فإن مدخوله لم يزد مطلقاً على ما كان عليه منذ زمن بعيد . وهو رغم إقامته في تلك القرية المتواضعة لم يستطع العيش دون أن يستدين بالربا الفاحش ؛ وعلى كل حال فقد كان رجلاً محترماً يوقره الكبير والصغير

كان « برستوف » شديد القسوة في معاملة منتقدي عاداته وأخلاقه ، وكان يجد في عادات جاره المتفرنج مجالا واسماً للتهكم والسخرية ؛ وإذا أحب أحد ضيوفه البذخ والترف خاطبه وفي ثفره ابتساماً ما كره خبيثة قائلاً له : « إنك هنا غير ما لو كنت عند جارى مورمسي ، فأنا لا أحب أن أقتل الانكليز في معيشتهم فأنتف بذلك أموالى . يكفينى ما أنا عليه ، وما كان عليه آباءى الكرام . » وكان بمض الجيران ينقل إلى « مورمسي » ما يقوله عنه جاره ، ولكنهم لا ينقلون ما قاله « برستوف » فقط ، بل يزيدون فيه كثيراً ويحملون من الحبة قبة حتى إن « مورمسي » تهيج نائرة نفسه فيأخذ في سب جاره وشتمه ورميه بأبشع الصفات كأن يقول عنه إنه « دب » وإنه رجل قروى ابن قروى !

هكذا كانت العلاقات بين الجارين عند ما جاء

يقع منزل « إيشان برستوف » في إقليم من أقاليم روسيا النائية ، وكان هذا الرجل يشغل في أيام شبابه في حراسة القيصر ، ولكنه ترك هذا العمل في أوائل عام ١٧٩٧ ، وجاء إلى أراضيه وأخذ يعمل في إحيائها ويقضى فيها ما تبقى من أيام حياته

كانت زوجته سيدة نبيلة ، ولكنها فقيرة ، وقد توفيت أثناء رحلة كان رحلها في سهوله الواسعة . وبعد أن نسي الحزن الذي تركه فقدها في نفسه شيد منزلاً فخماً ومصنعاً للأقمشة ، وصار بذلك الرجل المحترم والسيد النبيل في ذلك الاقليم ؛ وكان نزول الجيران ضيوفاً عليه مع أولادهم وكلاهم مما يؤكد في نفسه هذه المنزلة ويثبتها

أما ما يلبسه طيلة الأسبوع فهي صدارة من القטיפنة أرجوانية اللون ، وفي أيام العيد « رديجوت » من صنع مصنعه

كان « برستوف » محبوباً من أهل قريته رغم مظهره المتكبر ، وتقطيعه الطويل ؛ ولكن « مورمسي » أقرب جيرانه إليه لم يكن يحبه ، ولا يستطيع محادثته أو الاجتماع به ، لأن « مورمسي » يرى أنه أرفع منه قدراً ، وأعظم جاهاً ، وهو الآن أرملة قد بذر القسم الأكبر من أمواله في « موسكو » وجاء الآن ليقيم في بيته القروى آخر ما تبقى له

أبن منهن فتيات المدن في جالهن الزائل ، وشمورهن النذل وأهواؤهن المتطرفة .

إن دقائق الناقوس يوم الأحد تخلق في مخيلتهن حوادث شتى ، وإن رحلة يقمن بها إلى القرية المجاورة لقربتهم هي يوم من أيام في حياتهن يؤرخن به حوادث المستقبل وسوائف الماضي ، وإن نزول ضيف عليهن يترك في نفوسهن ذكرى خالدة تنزل معهن إلى القبر .

كثير من الناس من يجد في عادات أهل القرى مجالا واسما للسخرية والتهمك ، ولكن رأى هؤلاء الناس سيظل دون أى تأثير على الحقائق الواقعية التي قوامها عند هذه النفوس البريئة : الأخلاق ، والسعادة الفردية التي لولاها لم يكن للانسانية عظمة تفاخر بها عن جدارة واستحقاق !

إنه لمن السهل أن تجد في المدن والمواصم نساء هن على قدر عظيم من الثقافة ، ولكن الحياة سوت بين هذه الفوارق وجعلت قيمة المرأة بمقدار جمالها وزينتها

يا قارئى المحبوب ، من اليسير عليك أن تدرك أى تأثير كان لألكسي في نفوس هؤلاء الفتيات ، فقد كان أول شاب رأين فيه من النعوض ما لم يستطعن فهمه ، ومن السكابة ما لم يدركن كنهها .

والمرة الأولى تحدث هؤلاء الفتيات عن الأفراح المولية ، والشباب الدابل ، والأمل المفقود !

كان الكسي يلبس في خنصره خاتماً أسود عليه صورة رأس رجل ميت ، فكان ذلك الخاتم يسترعى أنظار أهل القرية ، ويجعل الفتيات أكثر تعلقاً به وشغفاً إلى معرفته . أما التي أولمت به ولوعا

« الكسي » إلى قرية أبيه ، بعد أن تخرج من الجامعة وكان يميل إلى الدخول في المدرسه الحربية رغم أن ذلك الميل كان مما لا يحبه أبوه ، وظل كل متمسكا برأيه لا يلين لإرادة الآخر ، وعبثا حاول والده إقناعه بأن العمل في دواوين الحكومة خير من العمل في الجندية ، ولكنه صمم أخيراً أن يترك الأيام تفعل ما تشاء ، فلم يذهب إلى المدرسة الحربية ولم يعمل في دواوين الحكومة ، وإنما ظل في منزل أبيه يحيا حياة بوهيمية ، وترك العنان لشاربيه فنموا نمواً هائلا وانتشرا في كل صوب .

كان « الكسي » ولد « إيفان برستون » شاباً لطيفاً ذا قامة رشيقه متمسكة الأطراف جذيرة بأن تمارس الأعمال الحربية ، وما نظر إليه أحد وهو على صهوة جواده إلا اختار له أن يكون في الجيش أو في ساحة الحرب . ولم يقل أحد من الناس إن هذا الشاب القوي خليف بأن يجلس وراء مكتب الديوان طيلة يومه . وكانت صبايا القرية لا يملأن النظر إليه والحديث عنه ، وهو غير مكترث بهن لا يلتفت إليهن ولا يلقى عليهن تحية ، فزعمن أنه مأخوذ بحب فتاة في موسكو . وقالت إحداهن : لقد رأيت به يضع رسالة في البريد مكتوباً على ظهرها « إلى الآنسة اقولينا بتروفنا كورنشكينا في موسكو . »

إن الذين لم يسهدم الحظ بأن يمشوا زمناً في القرى لا يمكنهم أن يدركوا ما عليه أولئك الفتيات من الجمال . انهن يمشن في الهواء الطلق وفي ظلال التفاح ولا يعرفن المالم والحياة إلا من وراء الكتب التي تصل إلى أيديهن ؛ وإن الوحدة والحربة والمطالمة تنمى فيهن شموراً وأهواء ، وتخلق منهن فتيات

قالت ناشيا وهي تلبس سيدها ثوبها : أتأذنين لي بالخروج في هذا اليوم يا سيدتي ؟

— نعم ولكن أين تريدان الذهاب ؟

— إلى قرية (نوجيلومسو) عند جيراننا آل

« برستوف » ، فالיום حفلة زفاف زوجة الطاهي ،

ولقد جاءت البارحة ودعتنا لتناول طعام الغداء عندها

— إن أصحاب المنزل سيختلون مع ضيوفهم

في غرف وحدهم ، وسيقرع الواحد منهم كأسه

بكأس صاحبه ، فاذا كنت تودين الذهاب فاسألي

والذي أن يسمح لك بذلك

— ما الذي يعني مما سيفعله أصحاب المنزل ؟

وأنا لك وحدك ولست لأبيك ، لنذع الشيوخ الكبار

عند مضيقتنا يتنازعون وبهملون وحدهم ما يحبون

— لا بأس ، ولكن رجائي إليك أن تنظري

« الكسي برستوف » جيداً وأن تجربيني عما

ستجدين فيه من الصفات والحصال ساعة تمودين إلى

خرجت ناشيا وهي تمد سيدها بأن تقوم

بما طلبته منها . وظلت ليزا تنتظر عودتها طيلة النهار

بفارغ الصبر . ولما عادت في المساء إلى غرفة سيدها

قالت لها : لقد رأيت الكسي الشاب واجتمعت به مدة

طويلة وظللت معه طيلة النهار

فأجابها سيدها : وكيف كان ذلك ؟ تعالى

قصي علي الخبر من أوله إلى آخره

— نعم يا سيدتي ، ذهبت في الصباح أنا و « أنيا »

و « نانيل » و « دونكا » ...

— نعم ... نعم ، أعرف ذلك ، ثم ماذا حدث ؟

— اسمي يا سيدتي ، إني أحب أن أسرد عليك

الحادثة من أولها . وصلنا عند الغداء تماماً ، وكانت

الغرفة غاصة بالزائرين والزائرات وكان بينهم زوجة

جاءت ابنة جاره الذي كان يحب أن يعيش على النمط الانكليزي واسمها « ليزا »

لم تر « ليزا » حتى الآن وجه الكسي رغم أن

الفتيات رأينه كلهن . كانت ليزا في السابعة عشرة

من عمرها ذات عشرين فيهما دعج يزيد في جاذبية

وجهما الأسمر ، ولم يكن لأبيها خلف غيرها فكانت

لذلك مدلة منه محبة إليه ، حتى أودى هذا الدلال

بكثير من خصالها الحميدة . وكانت في حيوتها

تسحر والدها فلا يدرى بأي شيء يزجرها إذا

أخطأت أو يكافئها إذا أحسنت ؛ وكادت مربيته

« مس جو كسون » تخرج عن طورها المعتاد رغم

وقارها الملتزم وسنها الكبيرة . كان وجه هذه المربية

كأنه مطلو بطلاء أبيض ، وعيناها كأن بهما كحلا

أحمر ؛ وكان عمل هذه المربية أن تقرأ ال : Pamélat^(١)

مرتين في السنة ، وتتقاضى أجراً على هذا العمل

مبلغاً قدره ألفان من « الروبلات » في السنة ، وهي

رغم ذلك تزعم أنها مستفجرة من الضجر لوجودها

في هذه البلاد البربرية

أما خادمة ليزا فاسمها « ناشيا » ، وهي فتاة

تكبر بقليل سيدها التي كانت تحبها حباً جاكاً وتبوح

لها بكل أسرارها ، فلا تقوم بأي عمل دون أن

تشاظرها رأيها فيه . وبالاختصار كانت « ناشيا »

تمثل دوراً في (أمانة السر) لم نقرأ مثيله في أية

مأساة فرنسية

(١) رواية شهيرة للأديب الانكليزي « ريكاردسن »

تجيش بالعاطفة والأخلاق وتدور في موضوعها على خادمة

فنية تنصر فضيلة نفسها على مكابدها السافلة ، وهي من أول

ما وضع في القمص الحديث

أن أقوله لك هو أنه استرعى انتباهي وانتباه «تانيا»
وابنة المدير

— إن هذا مما يشير فضولى يا عزيزتى ناشيا ،
ماذا كان الناس يقولون عنه ؟

— كانوا يقولون إنه رجل طيب القلب كثير
المرح ، نشيط ، ولم يلوموه إلا على شيء واحد :
كثرة حبه للخادومات واتباعه لمن . ولكننى
لا أرى فى هذا العمل ما يستحق اللوم . لا بد أنه
سهدأ فى يوم من الأيام

— « آه . . . ما أشد تشوقى إلى رؤيته »
قالتا وهى تتنفس الصعداء

— ما الذى يمنعك من ذلك يا عزيزتى ؟ إن
قرية « نوجيلومسو » قريبة منا ، وإذا قت بنزهة
فى نواحي هذه القرية ، فأنا متأكدة من أنك
تجتمعين به ، إنه يخرج كل يوم إلى الصيد فى الصباح
الباكر وهو متأبط بندقيته

— أنتظنينى أقوم بهذا العمل لكى يحسب
أننى أحبه ؟ وهل نسيت ما بين أبى وأبيه من خلاف
وغداوة ؟ أتدرين ماذا سأفعل يا ناشيا ؟

ما رأيك إذا لبست ثياب قروية وخرجت
للاقائه ؟

— والله إنها لفكرة حسنة . البسى ملأمة من
قماش سميك ، واذهبى دون أن تخافى إلى قرية
« نوجيلومسو » وأنا متأكدة من أن الكسى
سيمجب بك ، وأنه سيجبك

— وأيضاً أستطيع أن أتكلم بلهجة هذه
القرية ، إنها يا ناشيا فكرة حسنة

نأمت « ليزا » ليلتها تلك وهى مصممة على
تففيذ ما اتفقت عليه مع خادماتها . وفى الصباح

« كلبينو » وزوجة « زكهاريثو »

— والكسى يستوف ألم يكن بينكم ؟

— نعم ، ولكن لماذا تمجلين ؟ جلسنا إلى
المائدة ، وجلست زوجة المدير فى الصدر وجلست
أنا إلى جنبها فأخذ بناتها ينظرن إلى نظرات الحسد
ولكننى لم أبال بهن

— إن هذه التفاصيل تزعجنى « يا ناشيا »

— ما أسرع ما تضجرين ياسيدتى ! ثم خرجنا من
الفرقة بعد أن مكثنا فيها ثلاث ساعات ، حقاً لقد
كانت مائدة فاخرة ، وبعد ذلك ذهبنا إلى الحديقة
نلهو ونلعب وهناك رأيت الشاب . . .

— هل هو جميل كما يقولون عنه ؟

— بل أكثر من ذلك ، إنه فوق ما تتصورين
ياسيدتى ، إنه شاب جميل ، طويل القامة ممتلئ
الجسم وردى الخدين . . .

— وهل كنت أتصوره أصفر اللون هزيبلاً ؟
ولكن أريد أن تصفى لى مظهره ، هل هو حزين ؟
هل هو كثير التفكير والتأمل ؟

— أنتظنين ذلك ؟ إننى لم أر فى حياتى كلها
أكثر منه نشاطاً وحيوية . لقد ظل يركض ويلعب
منا طيلة اليوم . . .

— ظل يركض ويلعب ممكن طيلة اليوم ؟ إن
هذا غير ممكن ! . . .

— لماذا يأتى ؟

— إذن قولى ما تريد به « يا ناشيا » ما أراك إلا كاذبة

— ظنى بى ما تشائين ولكننى لا أكذب قط

— لماذا يقولون عنه إنه عاشق وإنه لا يلتفت

إلى أحد وإنه وإنه . . .

— هذا ما لأعرفه يا عزيزتى . كل الذى أستطيع

في أذن ناشيا كلمات تتعلق بعريتها «مس جو كسون»
ثم خرجت من باب القصر الكبير واجتازت
الحديقة وانطلقت تمدو في الحقول الشاسعة

كان الفجر يلعب في الناحية الشرقية والنيوم
الذهبية متراففة على الأفق كأنما تنتظر مطلع
الشمس، والسماء الصافية، وبرودة الصباح، والندى
والنسيم الليل وصداح الأطيوار، كل ذلك أخذ
يلأق قلب «ليزا» سعادة أين منها سعادة العالم كله !
لما وصلت «ليزا» إلى منتهى حقول والدها
أخذت تسير على مهل بعد أن كانت مسرعة حتى
لو أن أحداً رآها لظنها تطير في الجو ولا تسير على
الأرض. لقد كانت تخشى أن يراها أحد ممن تعرف
وفي هذا المكان جلست «ليزا» تنتظر قدوم
الكسي، فأحست أن قلبها يخفق خفقاناً شديداً،
ولم تستطع أن تجد لهذا الخفقان سبباً، ولكن،
أليس هذا القلق الذي يصحب فراهة الشباب وطيشه
هو السبب الأوحى في جاذبية المرأة؟

قامت ليزا من مكانها وسارت إلى ظل غيضة
قرية منها، ثم شعرت كأنما حولها ضوء خفية
تحيط بها من كل جانب، فأخذت سعادتها الأولى
تهداً شيئاً بعد شيء، ثم شرعت تحلم حلماً عذبا...
ترى نستطيع أن ندرك في أي شيء تفكر فتاة في
السابعة عشرة من عمرها وهي جالسة وحدها في
غابة من الغابات وفي صباح يوم من أيام الربيع ؟
سارت، وهي في هذه الغمرة الجميلة، في طريق
ظليل بما حوله من الأشجار الباسقة، فظهر أمامها
جأة كلب صيد جميل، وأخذ ينبس ويمدو وراءها؛
فدعرت «ليزا» وصاحت، ثم سمعت صوتاً يقول :

أرسلتها إلى السوق لتشتري لها قماشاً سميكاً كالذي
تلبسه القرويات، أزرق اللون، وأزراراً مصنوعة
من قماش أصفر، ثم ساعدتها ناشيا على تفصيل
الملءة، وعملت جميع الحاديات في خياطتها، ولم
بات المساء حتى كان كل شيء جاهزاً

فأخذت «ليزا» ثوبها الجديد بين يديها وتأملته
ثم لبسته ونظرت إلى نفسها في المرآة، فوجدت
أنها لم تكن في حياتها أجمل مما هي عليه الآن،
وابتدأت تتمرن على تمثيل دورها فألفت تحية في
صوت خافت وهي سائرة، ثم رفعت رأسها إلى جهة
اليمين ثم إلى جهة الشمال وتكلمت كما تتكلم
القرويات، وأخذت تضحك، وسترت وجهها
بطرف كعها

كان يزعمها في هذا التمثيل شيء واحد، هو
أنها لم تستطع أن تتحمل وخز الأعشاب الشائكة
ولا وخز الحصى الدقيق في حديقة الدار. وهنا
أيضاً جاءت «ناشيا» لمساعدتها فقاومت طول
قدمها وأخذت تبحث عن «تروفيم» الراعي،
وطلبت منه أن يصنع لها زوجاً من الأحذية بعد
أن أعطته القياس

قامت «ليزا» في الصباح الباكر ونظرت فيما
حولها فوجدت أن الجميع نائمون، وأن «ناشيا»
واقفة أمام رتاج الباب تترقب قدوم الراعي. وبعد
لحظة سمعت صوت مزماره ورأت القطيع يمر أمام
القصر، ثم تقدم الراعي فأعطى ناشيا زوج الأحذية
القروية السميك فناولته هذه خمسين «كويك»
نمناً لها، فانصرف إلى شأنه

أخذت «ليزا» ترندى ثياب القرويات في
صمت وهدوء خشية أن توقظ أهلها النائمين، وممت

— كل ما أراه فيك يدل على أنك ولد البارون
— ... ولكن ... ؟

— أحسب أنني لا أستطيع أن أميز السيد
من الخادم ؟ إن لباسك غير لباسنا ، ولقد كنت
كلبك الآن بلغة غير اللغة الروسية

كان لهذه الكلمات وقع حسن في نفس
« ألكسي » فزاد شغفه بها وتقدم نحوها يريد
أخذها بين يديه فارتدت إلى الوراء بسرعة ونظرت
إليه نظرات حادة فلم يتمالك ألكسي من الضحك
ثم سكت ، فقالت له وهي تلتزم الوقار :

— إذا كنت حقاً تريد أن تكون أصدقاء
فكن سيد هواك

فقال لها ألكسي وعلى ثغره ابتسامة ودهش :
— من الذي علمك هذا ؟ هل هي ناشيا خادمة
سيدتك ؟ إن أخلاقها الطيبة قد انطبعت في نفسك
صورة ثانية

شعرت ليزا أنها لا تستطيع كتم الحقيقة
عنه ، فأرادت أن تخبره عن نفسها من تكون ،
ولكنها امتنعت عن ذلك وقالت له :

— هل تحسب أنني لا أعرف كيف أسمع
ولا كيف أرى عندما أكون بين أسيادي في
القصر ؟ ؟

ثم أردفت قائلة : ولكنني ما جئت هنا
كي أمضي الوقت في الكلام منك ، إذهب إلى
شأنك ، ودعني أنا أيضاً أذهب ... وداعاً !

نهضت ليزا من مكانها ولم تكذب تبعد قليلاً
حتى شعرت بأن ألكسي قد أمسك بيدها وقال
لها : ما اسمك يا عزيزتي الصغيرة ؟

فأجابته وهي تحاول الافلات من يده :

لا تخافي ، تعال إلى هنا يا « سبوجار » ، ثم رأته
صياداً شاباً يخرج من بين الأدغال ويحاطبها قائلاً :

— لا تخافي أيتها الفتاة ، إن كلبى هذا لا
يعض أحداً

شعرت ليزا بالسكون يعود إليها فأجبت أن
تستفيد من هذه الصدفة فقالت للصيد بصوت فيه
شيء من الخوف والحياء :

— إنني أخاف رغم كل هذا . إن كلبك هذا
مخيف ، وأحسب أنه سيلتقي بنفسه على ثانية

أخذ ألكسي ينظر إلى هذه القروية نظرة
متفكر ، وقال لها :

— إذا كنت تخافين فاني أماشيكي إلى حيث
تريدين ، أسمعجيني لي أن أسير بجانبك ؟

— من الذي يمنعك من ذلك ؟ إنك حر
والطريق مشاع للجميع
— من أين أنت ؟

— من « بربلوتشن » إنني ابنة الحداد
« فاسيلي » ، وقد خرجت لأجمع لوالدي قليلاً من
الكفاة !

كانت ليزا تحمل على كتفها سلة صغيرة مدلاة
على ظهرها بجبل ، وهي ممسكة بطرفه الآخر
— وأنت ؟ ألسنت من قرية « نوجيلوئو » ؟

— نعم ، إنني من هذه القرية وأنا خادم
البارون فيها

كان ألكسي يريد من قوله هذا أن ينزل إلى
مستواها ، ولكنها نظرت إليه نظرة وضحكت ثم
قالت له : « إنك تكذب ! لست بلهاء إلى هذا الحد
وإنني لا أشك في أنك ابن البارون نفسه »

— ما الذي جعلك تعتقدين ذلك ؟

القيام في الصباح الباكر» ثم أخذ يسرد على ابنته أخبار المعمرين الذين يقرأ عنهم في المجلات الانكليزية وأن جلهم من الذين لا يشربون «القدوكا» ومن الذين يقومون باكراً في الصيف وفي الشتاء، ولكن ليزا كانت في شغل عن حديثه فإن ما وقع معها في الصباح أخذ يعود إلى ذهنها، وكانت تفكر في نجاحها ساعة خدعت الكسى وكيف صدق أنها ابنة حداد وأن اسمها «أكولينا»... ولكنها شعرت بالندم رغم ذلك النجاح، وعبتاً حاولت أن تقنع نفسها بأن ما حدث لها سوف لا يتجاوز محله، وأن ألموبتها التي قامت بها مع الكسى قد انتهت. لقد كان صوت ضميرها أكثر ارتفاعاً من صوت عقلها. إن موعدها في الغد يقلق فكرها، وهامى ذى تكاد تصمم على أن تخلفه، لولا أنها ذكرت أن الكسى سوف يبحث عنها في منزل الحداد، بعد أن ينتظرها طويلاً في الغابة، وأنه سيجتمع بابنة الحداد «أكولينا» صاحبة الوجه الدقيق والجسم الغليظ، وأنه سيقف على حقيقة هذه المهزلة! كانت هذه الفكرة تخيف «ليزا» فتتيقن بأن «أكولينا» ابنة الحداد ستخرج في صباح اليوم التالي بدلاً منها إلى الفيضة وأنها ستنتظر «الكسى» وأنه سيحبها... أما الكسى فقد كان مسروراً أى مرور وقد ظل طيلة يومه يفكر في صديقته الجديدة، ولما أقبل الليل ظلت صورة الفتاة ذات السمرة الجميلة تفمر أحلامه

لم تكد الشمس تشرق حتى كان الكسى على أهبة الخروج، فاصطحب كلبه الأمين سهوچار وركض إلى المكان الذى تواعدا على أن يجتمعا فيه ظل الكسى ينتظر قدوم حبيبته نصف ساعة

— اسمى «أكولينا» ، دعنى أذهب ياسيدى ، لقد تأخرت

— إذن سأزور والدك «فاسيل» الحداد في الغد

— ماذا تقول ؟ بالله عليك لا تذهب ، إن والدى إذا علم أننى تحدثت معك ، وأنا كنا وحدنا في الغابة ، فإنه سيضربنى ضرباً مبرحاً — ولكنى سأجى لأراك فقط

— إذن سأعود إلى هذا المكان لأجمع الكفاة !!

— متى ؟؟

— إذا كنت تريد فإننى أجيء في الغد

— في الغد يا عزيزتى ، أليس كذلك ؟؟

— نعم... نعم .

— أحقاً ما تقولين ؟

— صدقنى يا عزيزى

— أقسمى يميناً بالله لنأتى إلى هنا في الغد .

— أقسم لك بالله

افترقا . وخرجت ليزا من الغابة واجتازت الحقول الواسعة وهى مسرعة جادة في سيرها ، ثم دخلت الحديقة فوجدت خادمتها ناشيا في انتظارها فبدلت لها ثيابها، وأجابها ليزا على أسئلتها التى كانت تلقىها عليها جواباً ممتصياً، ثم دخلت الدار فوجدت الطعام حاضراً وأهلها ينتظرونها ، وكانت صبيحتها «مس جوكسون» قد حمرت وجنتها وشدت مئزرها فبدت كأن جسمها جسم نحلة ، وكانت تقطع الخبز قطعاً دقيقة ، ثم التفت «مورمسكى» والد «ليزا» إلى ابنته وامتدح زهرتها التى قامت بها في الصباح وقال لها : « ليس أحسن للجسم من

له : « أريد الذهاب » فافترقا

ظل ألكسى وحده فى الغابة فأخذ يسأل نفسه كيف أن هذه الفتاة القروية التى لم يجتمع بها أكثر من مرتين استطاعت أن تستحوذ على نفسه وتملك عليه إرادته

كانت علاقته مع أ كولينيا لا تزال محتفظة بمجدها وبريقها ، فهو رغم تمنياتها الغريبة لم يخطر له يوماً من الأيام أن يخلف وعده معها . لقد كان ألكسى رجلاً ذا قلب نقي يقدر الفتاة البريئة حتى قدرها رغم خاتمه الأسود ، ومراسلاته السرية ، ونظراته المبهمة !

لو أننى استمعت إلى ما يوحىه إلى ذوقى لما تأخرت عن وصف اجتماعات هذين المخلوقين وصفاً شاملاً ، ووصف حبهما التواصل ، وثقة كل منهما بالآخر ، وأحاديثهما الشائقة ، ولكنى أخشى أن يوجد بين قرائى الأعزاء من لا يشاطرنى هذا الشعور ، ولكن الغالب فى هذه التفاصيل أنها قافية ، فاعلى إذن إلا أن أقول : إنه لم يمر على « ألكسى » و « ليزا » شهران حتى كانا متحابين حباً جماً ، وأن ليزا رغم ما تبديه من عدم اهتمامها بالموضوع كانت تحب « ألكسى » أكثر من حبه لها

لم يفكر أحد منهما فى المستقبل قط ، ولم يخطر لهما أن يحلا هذه المشكلة بالتفكير فى العاقبة ، فالألكسى لا يستطيع أن يمحو من فكره أن هذه فتاة قروية ، وأنه سيد شريف ، رغم ما بينهما من حب ، و « ليزا » لم تنس شدة البغض بين والديهما ، وكذلك « ألكسى » ، فإنه ما فكر يوماً فى أن

وأخيراً شاهد ملاءة زرقاء تلمع بين الأدغال ، فوثب يريد ملاقة عزيزته « أ كولينيا » ؛ فضجكت هذه لرؤيته ، ولكن ألكسى لم يلبث أن تبين فى وجهها أمارات الاضطراب والحزن ، فأحب أن يعرف سبب ذلك ، فأخبرته ليزا بأن هذه الحرية التى تستعملها فى جميع شؤونها تسبب لها هذا الحزن ، وأنها ندمت على ما بدا منها ، وأنها لم تأت اليوم إلى هذا المكان إلا لتفى بوعداها ؛ وأنها تريد أن يكون هذا الاجتماع هو الاجتماع الأخير ، وقالت له : « أريد منك أن تقطع هذه الصلات التى ربما أوصلتنى إلى ما لا أحبه وأرجوه »

لقد كان لهذه الكلمات على ما فيها من بساطة وقع شديد فى نفس ألكسى ، فاستعمل كل ما أوتي من مقدرة وذكاء لكي يرد أ كولينيا عن عزمها ، وأكد لها أن كل ما قالته إنما مصدره قلبها الساذج وحبها البريء ، ووعداها بأن يطيعها فى كل شيء وألا يكون بينهما من الصلات ما يجزئ إليها الندم ، ثم طلب إليها ألا تحرمه السعادة التى يجدها ساعة يجتمع بها ، وطلب إليها أن براها مرة كل يومين أو على الأقل مرتين فى الأسبوع

كان ألكسى فى حديثه هذا صادق السريرة شريف الهوى ، أوفى ما يكون بحب لحبيبته ؛ وكانت ليزا مصغية إليه ، ثم رفعت رأسها وقالت : عدنى بأن لا تطلب منى موعداً غير الذى أضربه لك ؛ فهم ألكسى بأن يقسم لها يمينا على ذلك ، ولكنها منته وقالت له ، وهى تبتسم : « لست بحاجة إلى اليمين وإنما وعدك كافٍ يا عزيزى ... »

عندها أخذتا يتجاذبان وهما يسيران فى الغابة جنباً إلى جنب ، وبعد لحظة التفتت إليه ليزا وقالت

«إيفان برستوف» إلى جاره وعدوه «مورمسكي» قبل أن يسييه أذى ثم أمر خادمه الذي كان معه فأمسك بإجاء بغلته وأعان على الصعود فوق ظهرها ، ثم اصططحبه «برستوف» إلى قريته ، وهكذا دخل القرية مكلاً بالنصر يحمل معه أرنباً ويصطحب عدوه المجروح كما لو كان أسيراً من أمرى الحرب كان حديثهما على المائدة فيه كثير من اللطف والمحبة ، وقال مورمسكي لجاره : إن آلامه لا تمكنه من العودة على بغلته فهو يفضل أن يعود إلى القرية في عربة «برستوف» فأصطحبه «برستوف» إلى خارج منزله ، ولم يدعه مورمسكي يرجع حتى أخذ منه وعداً جازماً بأن يتناول طعام الغداء عنده وأن يصطحب معه ابنه ألكسى في الغد . هكذا انهار صرح عداوة عميق الأساس بفضل نزوة من نزوات بغلة انكليزية خثوف !

في المساء ، ركضت ليزا لاستقبال والدها وقالت بدهش : « ماذا حدث لك يا أبى ؟ لم تطلع في مشيتك ؟ وأين حصانك ؟ هذه العربة لمن ؟ »

— « إن الذى حدث لى لا يمكنك أن تصدقيه يا عزيزتى » ؛ ثم أخذ يسرد على ابنته الحادثة بمخافيرها ولما انتهى قال : وسأنتظر أصدقائى آل «برستوف» في ظهر الغد لتناول طعام الغداء معاً فصاحت ليزا وقد امتقع لونها : « ماذا تقول يا والدى ؟ إن آل «برستوف» سيجيئون في الغد لتناول الطعام عندنا ؟ لا ... لا ... يا أبى افعل ما تحب ، أما أنا فأننى سوف لا أظهر أمامهم مطلقاً — لماذا ؟ هل أنت مجنونة ؟ ما إخطاك إلا ورثت كثيراً من بغضى لهم . دعى عنك هذه الوسواس الصيبانية يا عزيزتى

يطلب يدها للزواج ، وهى ابنة الحداد ، وهو البارون النبيل ، إلا وشمر بألم يحز في كبرياء نفسه ؛ ولكن حادثاً جليلاً وقع فحسّن ما بين هذين الحبيين من حال

في صبيحة يوم من أيام الربيع الباردة خرج «إيفان برستوف» والد ألكسى إلى النزهة والصيد منتظماً صهوة جواده ، وكذلك شاءت الأقدار فخرج جاره «مورمسكي» والد «ليزا» ، وأمر الخدم فأمرجت له بغلته الانكليزية وراح يطوف على قراء ومساكنه يتفقددها . ولما اقترب من الغابة ، وجد جاره على جواده منتظراً ظهور أرنب من الغابة ، ولو أن «مورمسكي» لمح من مسافة أبعد من التى بينهما الآن ، لثنى زمام فرسه ، ولعاد أدراجه حتى لا يجتمع به ؛ ولكن أنى له ذلك وهو الآن على بعد خطوات منه ؟ قاضطر «مورمسكي» إلى التقدم نحو عدوه ، وإلى إلغاء التحية عليه ، ولكن رد «برستوف» على تحية جاره كان فيه من اللباقة والظرف أكثر مما في تحية دب أبيض مطيع لأوامر صاحبه وهو يمرض على جماعة من المتفرجين . وفي هذه اللحظة خرج من الغابة أرنب برى ، وأخذ يمدو في الحقل فصاح «برستوف» بخدمه وترك الكلاب تمدو وراءه ، ولكن بغلة مورمسكي التى لم تعود الذهاب إلى الصيد رجعت إلى الوراء وشرعت تمدو ثم وقعت في حفرة لم ترها فوق مورمسكي عن ظهرها وسقط على الأرض الباردة بما عليها من جليد ، وظل مستلقياً هناك على ظهره يشتم البغلة التى وقعت عن عدوها لما أحست أن صاحبها قد وقع عن ظهرها . عندها ركض

ممتطياً صهوة جواده ، فدخل الاثنان غرفة الطعام ثم دخل عليهم مورمسي وتلقاهم بالترحيب وأخذ يطوف معهم في حديقته الانكليزية الجميلة ، ويريه مطبخه الفخم ، ويسير معهم على رقيق من الرمل الناعم جميل الهندسة . فقال برستوف وقد خفض من صوته احتراماً لشمور مضيفه : « ما أكثر الأوقات التي تضييها في هذه الأمور التافهة يا جاري العزيز » ، وكان الكسي في شغل عما هما فيه من الحديث ، كان يفكر في ابنة مضيفه وما هي عليه من الجمال البارع الذي طالما سمع الناس يتحدثون عنه ، رغم أنه يحب كاف ليزا ، فقد كان للجمال حظ أكبر من انتباهه

دخل الثلاثة غرفة الاستقبال ، وأخذ برستوف ومورمسي يتحدثان عن ماضيها وعن أيام الجندية وأخذ الكسي يفكر في موقفه من ابنة مضيفه ليزا ، فقرر رأيه على أن يظهر أمامها في صورة نم عن عدم الاكتراث ، ثم هيا نفسه لذلك ، وفجأة سمع الباب ينفتح فدار رأسه يبطه وتكبر حتى لو أن أكثر نساء الدنيا نظرفاً وأتونة رأته في هذه اللحظة لارتجف فؤادها . ولكن بدلاً من أن تكون الداخلة ليزا ، كانت مرييتها « مس جوكسون » وقد تمطرت وطلت شفتيها وخديها بالأحمر وغضت من طرفها ، ولم تكذب تجلس في مكانها حتى انفتح الباب ثانية ، وكانت الداخلة هذه المرة هي « ليزا » فوقف الجميع لاستقبالها وشرع والدها يقدمها إلى ضيوفه ، ولكنه وقف فجأة وعرض على شفتيه ... ليزا ، ليزا الجميلة السمراء قد طلعت وجهها حتى أذنيها بالأبيض ، وعيونها الجميلة أقبح من عيون مرييتها ، وهي مرتدية ثوباً كما كان يلبس الناس في أيام

— لا يا والدي ، ليس إلى إقناعي بالظهور أمامهم من سبيل
فرغ كفتيه ، وامتنع عن الحديث معها ، لأنه يعرف عناد ابنته حق المعرفة ، ثم قام إلى سريره ليسترخ من عناء ما حدث له في الصباح

دخلت ليزا غرفتها ، ودعت خادمتها ناشيا ، وجلستا يتحدثان عن هذه الزيارة . كيف تربن لو أن الكسي جاءني ورأى أن أكوينا ليست إلا ليزا ابنة البارون ؟ ما ذا سيكون موقفه منه ؟ إنه ليسرني أن أرى وجه الكسي مشدوها بهذه المفاجأة السارة . ثم قالت فجأة : « إنني أود أن أقوم بعمل غريب » وحدثتها به فسرت ناشيا كما سرت ليزا وانفتحتا على تنفيذه !

في الصباح سأل « مورمسي » ابنته ليزا عما إذا كانت لا تزال مصممة على عدم الظهور أمام آل برستوف فأجابته قائلة : « بما أنك تريد ذلك يا والدي فأنني سأظهر أمامهم ، على أن تقبلني في أي شكل أظهر فيه ، وألا تترض علي ما سألبسه ساعة أجلس معكم في الظهر » فأجابها ضاحكاً من قولها : « وهل لديك غير هذا ؟ إفعلي ما تشائين . فأنني راض عنك » ثم قبل ابنته في جبينها وانطلقت إلى غرفتها تهباً للمفاجأة

في الساعة الثانية تماماً دخلت عربة قروية يقودها ستة من الحيول إلى داخل حديقة القصر ونزل منها برستوف المجوز فجاء إليه خادمان من خدام « مورمسي » ورافقاه في صعود درجات السلم المريض . ثم جاء بعده بقليل ابنة « الكسي »

« لويس الرابع عشر » فكانت في جملتها كأنها حرف (X)، وقد وضعت في جيدها وأصابعها وفي أذنيها حللي والدتها القديمة

أني لصاحبنا الكسي أن يجد في هذه الفتاة المضحكة عزيزته الجميلة أ كوليننا ؟ ثم قبيل يدها المعجوز پرستوف وفعل مثله ابنه الكسي، ولكنه عندما وضع أصابعها الرقيقة على شفتيه أحس أنها ترتجف، ولاحظ أن حذاءها ليس على تمام الانسجام مع بقية ما تلبسه

لم يستطع والد ليزا لما رأى ابنته على هذه الحال أن يمتلك نفسه، ولكنه ذكر وعده لها فكظم غيظه، ثم ما لبث أن انفجر ضاحكا. وأما صريبتها الانكليزية المتصنعة في ملابسها وفي كل شيء، فقد لازمت الصمت والوقار ولم تضحك، وكانت متأكدة من أن ليزا قد استهلكته في فعلتها هذه كل ما في خزانها من طلاء فاضطربت واغتاضت، ولم يستر غيظها بياض الطلاء وكثافته فبدت وجنتاها حمراوين، وأخذت تلقى على ليزا - الساهية في هذه اللحظة - نظرات ملؤها الحنق، ولكن ليزا لم تنجها، إنها كانت تريد أن تؤجل الكلام في هذا الموضوع إلى ما بعد خروج الضيوف

ولما جلسوا إلى المائدة ظل الكسي على ما هو عليه من عدم الاهتمام والذهول، وأخذت ليزا تعتمد اللطف والتملق وتنكلم الفرنسية بأطراف شفتيها الرقيقتين، وعلى مهل. كان والدها لا يرفع نظره عن وجهها، وكان في حيرة وذهول لا يدري ما الذي دعا ابنته إلى تمثيل هذه المهرلة التي كانت رغم كل ذلك مسلية للغاية، ولم يكن أحد من الحاضرين مسرورا كسرور « إيفان پرستوف » الذي شرع

بأكل أكل أربعة من الرجال الأصحاء، ويشرب كثيرا، وهو في كل ذلك مسرورا وأخيرا قام الجميع من حول المائدة، وذهب الضيوف إلى منزلهم وخلا الجو لوالد ليزا، فضحك ما شاء أن يضحك، وسأل ابنته ماذا تريد من هذه السخرية التي قامت بها ثم قال: « إن اللون الأبيض لما يوافق جمالك وينسجم مع تركيب قوامك الجميل يا ابنتي، وإن كان ليس لي حق التدخل في زينة النساء، ولكنني إذا كنت مكانك لما ظهرت إلا في الأبيض من الثياب أو الطلاء والزينة » ولكن ليزا لم تجب والدها على أسئلته بل أخذت تصفق لنجاحها، وتقبل والدها، وهي تعده بأن تفكر في نصيحته ثم راحت تخفف من ثورة صريبتها « مس جوكسون » التي امتنعت طويلا عن أن تدخل ليزا إلى غرفتها أو أن تقبل معذرتها. قالت ليزا:

— إنني خجلت من أن يرى ضيوفنا لوني الأسمر، ولم أجد متسعا من الوقت، فأطلب إليك السماح لي بتناول قليل من الطلاء، ولكنني كنت متأكدة من أنك يا عزيزتي « مس جوكسون » ستصفحين عن زلاتي هذه. فسكنت « مس جوكسون » وأخذت تقبل ليزا، ثم أهدت إليها حقنا صغيرا من الطلاء الانكليزي الأبيض فقبلته مع إبداء الشكر الجزيل أما على يقين من أن القاري سيوافقني إذا قلت له إن ليزا خرجت في الصباح التالي لللاقة « الكسي » ولما رآته قالت له: « هل كنت البارحة عند البارون يا عزيزي؟ كيف وجدت ابنته؟ » فأجابها الكسي بأنه لم ينظر إليها طويلا، وإنما لمحها للحا مريما، فقالت ليزا: « إن في ذلك أذية وضرا ». فسألها الكسي:

— لماذا يا ترى ؟

— لأننى أحب أن أسألك هل صحيح ما يقولون ؟

— وماذا يقولون ؟

— إننى أشبه فتاة البارون

— معاذ الله ، إنها مسخ بالنسبة إلى جمالك

الزاهي يا عزيزتى

— آه ؛ إن فى قولك هذا خطأ لا ينتفر ، إن

فتاة السيد بيضاء ظريفة ، أما أنا ...

فأقسم الكسى بأنها أجمل من كل بيضاء فى

العالم ، ثم أخذ يصف فتاة البارون بلهجة الساخر

ليؤكدها قبحها ، فلم تمالك ليزا من الضحك طويلا

ثم تنفست الصعداء وقالت له : « كيفا كانت ياسيدى

فانى أمادها فلاحه جاهلة لا أعرف الكتابة والقراءة »

— وإن كان ذلك فليس فى جهلك القراءة

والكتابة ما يحزن يا عزيزتى ، وأنا مستعد لأن

أعلمك كل هذه الأشياء فى وقت قريب

قالت ليزا : هل نستطيع أن نجرب ذلك الآن ؟

— « نعم ، هيا بنا » . ثم جلسا على الأرض

وأخذ الكسى قلمًا ودفترًا بيده ، وابتدأ يلحن

أكولينيا مبادئ القراءة فوجد أنها تتقنها بسرعة

مدهشة ، فسر من ذكائها ؛ وفى الغد أحب أن

يعلمها الكتابة فوضع القلم فى يدها ، ولكنه وقع

من بين أصابعها اليسرى ، وبعد مضي لحظات

استطاعت أن ترسم الحرف رسماً لا بأس به ، فقال

لها : « إنها لأعجوبة والله ، إنك تتعلمين بسرعة

مدهشة يا أكولينيا » ؛ وبينما كانت ليزا تقف عن

القراءة لحظات تفكر فى الكلمة التى تريد أن تقرأها

كان الكسى يحس أنه فى غمرة هدوء عميقة وسعادة

لا تدرك . وبعد ذلك أخذًا يتراسلان ، وكان صندوق

البريد الذى انفقا على أن يضمنا رسائلهما فيه هو

عبارة عن حفرة صغيرة فى سديانة عجوز ؛ وكانت

ناشيا خادمة ليزا تقوم بوظيفة ساعى البريد

كان الكسى يودع فى هذه الحفرة رسائل

مكتوبة بأحرف كبيرة ، ويأخذ منها رسائل على

ورق أزرق مكتوبة بخط مبهم ، ولكن كان يلاحظ

أن كتابة أكولينيا أخذت فى التقدم ، وإن ذكائها

ينمو يوماً بعد يوم نمواً محسوساً . وكانت علاقات

إيثان برستوف مع جاره مورمسكى تزداد وثوقاً حتى

انقلبت إلى صداقة متينة

كثيراً ما فكر مورمسكى بأن ابن جاره سيرث

أموال أبيه اللطائلة ، وأنه سيصبح أغنى رجل فى

الإقليم ، وأنه لا عذر له إذا لم يتزوج ابنته ليزا ،

كما أن برستوف المعجوز كان يفكر مثل تفكير جاره .

وكان من أقارب مورمسكى « الكونت برفسكى » وهو

رجل نبيل ذو يد طويلة عند الحكومة ، وفى استطاعته

أن يساعد الكسى . وكان إيثان برستوف على تمام

اليقين من أن جاره مورمسكى سيستبشر عند ما

يفأخه بخبر زواج ابنه الكسى من ابنته ليزا

فكرا فى هذا الموضوع طويلاً حتى قبض لهما

أن يتكلما فيه ، فوجد كل منهما أن صاحبه يريد

مثل ما يريد هو ، فاتفقا على ذلك وتصالحا وهما

يرجوان من الله أن يحقق أملهما السعيد . وأخذ

كل منهما يمد السبيل من الناحية التى تتعلق به ،

فكان من الصعب على مورمسكى إقناع ابنته ليزا

بضرورة التعارف مع الكسى الذى لم تره بعد ذلك

النداء الجليل فى قصرهم ، والذى يظهر لنا هو أن

هذين الشابين لا يروق لهما أن يجتمعا سوياً ، فإن

الكسى لم يمد إلى قرية ليزا مرة ثانية فيزورها فى

وأكلت الثمن ولم أترك لك درهماً واحداً . وإنى أدعك تفكر فى هذا الموضوع ثلاثة أيام على أن لا أواجهك أثناء ذلك مطلقاً

لم يكن الكسى يحسب أن والده صلب فى رأيه إلى هذا الحد ، ولكن هو أيضاً قد ورث عنه هذا العناد ، فكان من الصعب أن يغير أحد رأيه الذى يراه . ثم دخل إلى غرفته ، وجلس يفكر فى سلطة الآباء على أبنائهم وكيف أنه يريد أن يدعه فقيراً يتسول ، ثم فكر فى ليزا ، وأخيراً فى أكوлина ، وشعر المرة الأولى أنه مأخوذ بحبها ، ثم خطر له أن هذه فتاة قروية ، وإنه إن رفض ما يدعوه إليه والده ، سيضطر إلى العمل حتى يكسب قوته

أقبل الشتاء ، فاخطر الكسى وأكوлина على الافتراق زمناً وكتب الكسى إليها رسالة فياضة بالشمر والحب ، وحدثها فيه عما بشمر به من الوحشة والأسى وختم الرسالة بقوله : « سنعيش سوية يا عزيزتى »

ثم ركض إلى حفرة السنديانة وأودع فيها رسالته ثم عاد إلى غرفته ونام وهو مسرور بما قام به فى صباح اليوم التالى ذهب الكسى إلى قصر جيرانه آل مورمسكى ، وكان يود من زيارته أن يتحدث البارون حديث قلبه ، ويفضى إليه بمكنون سره ، ويخبره بأنه لا يود الزواج من ابنته ليزا ؛ وكان يأمل أن يقنعه بما يريد ، فأخذ يستجمع فى نفسه عظمته وكبريائه ، ليجمل منها تسكاً يستعين بها على النجاح ، ثم أوقف جواده أمام سلم القصر وسأل عن السيد هل هو فى غرفته ؟ فأجابه الخادم بأنه خرج باكراً وأنه لا يعد بعد . فقال فى نفسه :

القصر ، كما أن ليزا كانت تختبئ فى غرفتها عند ما يزورهم « إيفان برستون » وكان مورمسكى يرى مجرد زيارات متواصلة يقوم بها ابن جاره الكسى كافية لأن تجعله محبباً من ابنته ليزا

أما إيفان برستون فقد كان لا يشك فى نجاحه مع ابنته ، وفى مساء يوم دعاه إلى غرفته ، وبعد أن أشعل غايونه ، وصمت قليلاً قال له :

— منذ زمن طويل وأنت لا تكلمنى فى موضوع دخولك فى الجيش . يخيل إلى أنك لم تعد تحب ذلك ؟ فأجابه الكسى باحترام : « لا يا والدى إننى لم أمتنع عن الدخول فى الجيش إلا لعلنى بأن ذلك مالا تحبه لى وإن من واجبي أن أطيعك » فأجابه والده إيفان : « حسن يا بنى إننى جد مسرور من إطاعتك لى ، ولكننى قبل ذلك أحب أن أزوجه » فسأله الكسى بدهش : « ممن تحب أن تزوجنى ؟ » — « من ليزا مورمسكى . إنها خطيبة ليس لها مثل . أليس كذلك يا بنى ؟ »

— ولكننى يا والدى لا أفكر الآن فى الزواج — فليكن ذلك ، لقد فكرت أنا فيه طويلاً فوجدت أن من الصالح لك أن تزوج

— لك ما تريد يا والدى ، ولكن ليزا لا تعجبني — ستعجبك فى يوم من الأيام . إن الحب يا بنى ينمو مع الزمن

— أشعر بأننى لا أستطيع أن أسعدها يا والدى — ومن الذى يكلمك فى سعادتها ؟ إنك بهذا الحديث ترفض إطاعة والدك

— سوف لا أزوجه منها ، ولن أزوجه مطلقاً — بل ستتزوج منها رغم أنفك ، وإلا حل عليك غضبي ، وبمت كل ما أملكه من الأرض

يا خسارتي ... إذن ليزا هل هي هنا ؟

— « نعم ياسيدي » فنزل الكسي عن صهوة جواده . وترك زمامه في يد الخادم ودخل دون استئذان، وخطر له وهو يتقدم من غرفة الاستقبال أنه في هذه الغرفة سيحدد مستقبل حياته، وعزم على مصارحة ليزا ، فلمل ذلك يكون أوقع في نفسها وأيسر حلاً

ثم دخل ... ولكنه وقف حائراً ... ليزا ... لا ! أ كولينيا يا عزيزتي أ كولينيا ، يا سمرام اللون أين الملاء الزرقاء ؟ أين الطلاء الأبيض ؟ إنها جالسة أمام النافذة تقرأ رسالتي

كانت ليزا في ذهول عميق حتى أنها لم تسمع وقع أقدام الكسي وهو داخل عليها ، فلم يستطع الكسي أن يخفق في حنجرته صيحة دعر وفرح ، فوثبت ليزا في مكانها ، وصاحت مذعورة ، ثم انطلقت تود الهرب ، ولكن الكسي ركض وراءها

وقبض عليها وهو يقول :

— « أ كولينيا ... أ كولينيا » فأجابته هذه بالفرنسية : « دعني ، مالك ، دعني ، هل أنت مخبول ؟ » قالت ذلك وهي معرضة عنه بوجهها ؛ فأجابها وهو يقبل يديها : « أ كولينيا ، يا عزيزتي أ كولينيا ! »

كانت « مسز جوكسون » واقفة تشهد هذا الحادث الغريب، ولكنها لم تربحاًذا تعمله . وفي هذه اللحظة انفتح باب الغرفة ، ودخل والد ليزا ، مورمسي وهو يقول :

— آه ... آه ... يخيل إلي أن المشكلة قد انحلت !

واسمح لي يا قارئي المحبوب أن أتركك هنا ، وأن أدعك تفكر في النهاية دون إرشادي
« بيروت » عز الدين الهزري

المجموعة الاولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فتى المصرلوسيه ، والأوذيسة لهوميروس ، ومذكرات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعة ومنقولة .

الثن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون مجلد

خلاف أجرة البريد

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة باللائحة الاتية

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش

في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون

قرشاً في الخارج عن كل مجلد